الاستيطان و التحالف الحضاري في ظل العولمة
(الاستعمار الفرنسي في الجزائر نموذجا 1830-1962)

أ. حسينة حاميد

كلية الآداب والعلوم الإنسانية

-جامعة باتنة-

مقدمة:

تهدف هذه الدراسة إلى توضيح بعض المفاهيم والأساليب الجديدة للعولمة والتبعية الثقافية والاقتصادية عامة وماهية المستوطنون الأوربيون وأيضا مصطلح الاستيطان بخاصة. وعلى هذا سيقتصر هذا البحث على عدة نقاط أساسية أهمها:

1- ماهية العولمة والتحالف الحضاري والدعوة عالميتهما والفكرة الإستيطان كسياسة جديدة لتوسيع دائرة الإقتصاد الحر .

2- ماهية المستوطنون الأوربيون الذين يؤمنون بسياسة الإستيطان كمبدأ للتغيير واقعهم الإجتماعي والإقتصادي والسياسي.

3- سياسة فرنسا الإستيطانية أثناء الإحتلال الفرنسي في الجزائر (**1830-1962**).

وقبل التطرق إلى هذه العناصر الأساسية في هذا البحث يجدر بنا أن نعرف معنى العولمة في ظل التفاعل الحضاري.

1- معنى العولمة:

على الرغم من التعاريف العديدة التي ظهرت في العقد الأخير لمفهوم العولمة إلى أنها مازالت محل إهتمام ومناقشة من قبل معظم المفكرين في وقتنا الراهن. والهدف من ذلك هو أن الغرب هو الذي يبدع ويخترع وينتج المفاهيم الجديدة المتنوعة والمصطلحات المختلفة في مجالات عديدة والغير يقوم بشرحها حسب ثقافته ومفاهيمه المعرفية ، والغرب أيضا يبدع ويبتكر والغير يقوم بنقلها وينفتن في ثقافته وحضارته وتاريخه بعلوم وفنون الآخرين وأحيانا تنسب هذه والمعرفة العلوم المختلفة إلى قوم غير قومه، ولهذا نجد تم نقل مفهوم العولمة من لفظة الأصلي الذي هو في الأصل باللغة الإنجليزية (**Globalization**) إلى الفرنسية.(**mondialization**).

ومنها ترجمت إلى العربية في أغلب الأحيان " بالكوكبية" وهذا يعود أساسا إلى العولمة الثقافية التي أصبحت كظاهرة جديدة حيث تمر بمراحلها الأساسية الأولى لأن العالم ليس

موحد ثقافيا وحضاريا وتاريخيا كما هو موحد تجاريا وماليا بالرغم من الثورة المعلوماتية الكبرى التي أصبحت في متناول الجميع.

أما بالنسبة للتعريف الذي نعتقد بأنه يتماشى مع موضوعنا هذا هو التعريف الذي جاء به علي حرب في مقاله" الثقافة والعولمة" والذي قال: "... أما العولمة فهي مقولة راهنة من مقولات ما بعد الصناعة وما بعد الحداثة. أرتبطت بإنفجار تقنيات الإتصال على نحو ضاقت معه الأمكنة وتقلصت المسافات ،إلى حد جعل الأرض قرية صغيرة تسبح في هذا العالم العددي الذي يتشكل من الفضاء السيراني. ومنا هنا ما يسمونه بإقتصاد الناعم ونقل المعطيات شبه المادية التي هي علامات وإشارات مسجلة على ألواح إلكترونيه... إذن ثمة منطق جديد يشتغل مع الفضاء الإلكتروني لا تعود معه الأشياء على ما كانت عليه.نحن،إزاء عالم إفتراضي أثيري لا يتألف من أشياء عينيه ولا من مفاهيم ذهنية بل يتركب من وحدات لا لون لها ولا وزن ولا حجم هي عبارة عن فيض متواصل من العمليات عبر الشبكات والقنوات إنها الكائنات العديدة تحل محل الأشياء المصنوعة بعد أن حلت هذه محل الأشياء الطبيعية، شاهدة على طول تقني جديد يتجاوز العصر الصناعي إلى العصر السيراني . وهذه الكائنات أو الوحدات التي تسكن في العقول الإ لكترونية وتسافر بسرعة الضوء على أساسها يتوحد العالم اليوم، وبواسطتها يجري الإتصال بين البشر".[1]

ومن بين التعريفات الهامة التي نعتقد بأنها مازالت محل إهتمام ومناقشة والأقرب إلى طرحنا لموضوع الإستيطان الذي أصبح معولما في عالمنا اليوم نعتقد بأنه سيزداد ويتوسع مستقبلا في الجنوب من الكرة الأرضية وهو التعريف الذي جاءنا به الدكتور: حسن حنفي في كتابه المشترك مع الدكتور: صادق جلال العظم ما العولمة".

... العولمة مفهوم برز لأحكام السيطرة على العالم باسمه ولصالح المركز ضد مصالح الأطراف ... العولمة مسألة صراع ومقاومة دفاعا عن الإستقلال ضد التبعية ... العولمة ظاهرة إقتصادية وسياسية وتقنية ومعلوماتية وتاريخية...[2]

إذن فالعولمة أصبحت مفروضة على الإنسانية والتنافس الإقتصادي الحر والثقافي والسياسي والتقني والإعلامي أصبح في متناول الجميع، وهي فرصة للمجتمعات المستهلكة لتغيير واقعها الإجتماعي والتعريف بحضارتها وثقافتها التي كانت منحصرة بين بعض الفئات والأقليات المجتمعية.

وبالرغم من مخلفات الإستيطان الإستعماري الفرنسي في الجزائر وسلبياته على مجتمع الجزائري من قهر وظلم وإستغلال ومصادرة الأراضي الزراعية الخصبة إلا أنه حقق عدة إيجابيات في توفير الإكتفاء الذاتي وتمويل دول حوض البحر الأبيض المتوسط بالمنتوجات الزراعية والمساهمة في إستصلاح الأراضي شبه الصحراوية التي أصبحت فيما بعد توزع على المستوطنين الصغار.

ومن بين أهداف الإستيطان المعولم نجد المستوطنون الأوربيون أثناء الإحتلال الفرنسي للجزائر ساهموا بطريقة أو بأخرى في تدعيم الأسواق الأوربية بالمنتوجات الزراعية وفتح أسواق جديدة أخرى في العالم والإستيطان الإسرائيلي في فلسطين ساهم في إستصلاح الأراضي الزراعية ورفع الإنتاجية وفتح أسواق جديدة في العالم على الرغم من السلبيات والأضرار التي لاحقت الشعب الفلسطيني. وكذلك الإستيطان البريطاني في جنوب إفريقيا ساهم في تحسين الأراضي الخصبة وإستصلاح الأراضي الزراعية مما جعل جنوب إفريقيا نموذجا للإستيطان الأوروبي والعرب أيضا إستطاعوا حديثا أن يستثمروا أموالهم في الفلاحة وخاصة في بعض الدول الإفريقية ودول أميركيا اللاتينية.

التحالف الحضاري يعني التفاهم والتشاور والتحاور الممنهج بين مختلف المجتمعات البشرية وهذا التحالف لا يكون بين الشمال والجنوب فقط بل يجب أن يكون بين الأديان السماوية من جهة، والأديان الوضعية من جهة أخرى، وتجاوز الخلافات بين الشعوب وترقية مفهوم الحوار وفتح أسواق جديدة لكي تتكافؤ فرص العمل، والإستثمار الفلاحي، والإبداع الفكري، والتنوع الثقافي، والنهضة الشاملة، والإستفادة من تجارب الآخرين. وعلى هذا الأساس يجب على أنصار هذا المذهب أن يفكروا في إنشاء مراكز ثقافية تهتم بتطوير فكرة التحالف الحضاري وترقية مفهوم التواصل بين الشعوب في أنحاء المعمورة من أجل الإستفادة من العولمة الإقتصادية والحداثة وما بعدها وذلك للسعي إلى المواطنة العالمية. والسؤال المطروح في هذه الدراسة من هم المستوطنون ؟ وماهي ماهيتهم؟

وفيماذا تتمثل أهدافهم الذاتية؟

2-ماهية المستوطنون الأوربيون :

لقد كان "فرنسيو الجزائر" أقدم تسمية عرف بها المستوطنون الأوربيون وهي تعتبر أكثر استعمالا. ويرجع أصل هذه العبارة إلى البلد المنشأ بهدف التفريق بين فرنسيي الجزائر وبين الفرنسيين الذين يعيشون في بريطانيا أو إسبانيا، وبذلك فإن هذه التسمية تحدد المنشأ

الأصلي لهؤلاء السكان الذين فنحن لا نقول فرنسي بريطانيا أو فرنسي إسبانيا بل نقول فرنسي الجزائر.

وهناك فرضية أخرى تقول بوجوب فهم هذه التسمية أي فرنسي الجزائر لا عن طريق تمييزهم بين فرنسي الجزائر وفرنسي فرنسا لكن عن طريق مجموع السلالات المتمايزة التي تشكل سكان الجزائر ذلك بشهادة الوثائق الإدارية وإحصاء السكان التي تبين من الجانب الأول الفرنسيون حيث تشمل فرنسي الأصل والمجنسين أي الذين اكتسبوا الجنسية الفرنسية. أما الجانب الثاني الذي تشمله هذه الوثائق والإحصاءات فهم الأندجان. لكن هذه اللغة الرسمية تفتقد إلى الوضوح والدقة لأن مصطلح أندجان يعني ابن البلد الأصلي ويمكن تطبيقه بالمساواة مع الأوربيين ومن جهة أخرى فإن هذا المصطلح قد بلغ حد حيث اشتمل على عناصر أخرى من السكان في الجزائر، منهم عناصر من أصل إفريقي، وعناصر من أصل بني سام وهم أنفسهم من الأندجان وأنفسهم العرب البربر ونفس الحالة بالنسبة لبعض من اليهود ذو نشأة إسبانية الذين تهودوا وأصبحوا يمثلون البربر المتهودين.[3]

وفي هذا الصدد يذكر جاك بارك **Jaques Berque*** قائلا: "كل العالم يعلم بالقرابة الموجودة بين العرب واليهود لأنهم من أصل بني سام وان القرآن الكريم هو الذي أقام هذه القرابة استنادا إلى "أبناء إبراهيم" وقد لاحظت منذ أمد طويل بأن الاسم القديم الذي يشير للعرب (**Arab**) يختلف عن الاسم القديم الذي يشير للعبري بصيغة إبدالية بسيطة أي تغير حرف من الكلمة بالتقديم أو بالتأخير: **A.R.B/A.B.R** ونفسه ع.ر.ب/ ع.ب.ر"[4] . زد على ذلك، فإن التسميات الإدارية الآنفة الذكر لا تسمح بتحديد وثائق العرب والبربر الذين طلبوا وتحصلوا على جنسيتهم بمعنى أن الإسباني أبقى على جنسيته الأصلية ونفس الشيء بالنسبة للسلالات الأخرى.

وهناك أيضا تعبير مهم بالنسبة لمصطلح أندجان، فهذا المصطلح كان يعبر عن الشر والانحراف وزاد أنه أكتسب طابع احتقاري خاص ولهذا السبب فقد ذكر المؤرخ كسافي ياكونو **Xavier Yacono** " أنه "وابتداء من سنة **1944** خصوصا أثناء حرب الجزائر **1954** بدأنا نميز بين المسلمين والغير المسلمين"[5] ولكن هذا التمييز يعتبر خاطئا لأن الانتماءات العرقية لا تعطي تمييزا واضحا لأنه ليس كل العرب والبربر مسلمين

وبعض الأوربيين اهتدوا إلى الإسلام. إنه بالإمكان تسمية هؤلاء والآخرون بالجزائريين وحتى إذا كانت هذه التسمية تخص الأوربيين الذين يعيشون في الجزائر أولا[6] .

تدريجا توسعت هذه التسمية وتحت ضغط الحركات الوطنية فقد حصرت في إطار هذه الكلمة أي الجزائريين في إطار المسلمين وفي هذا الصدد فإن هؤلاء يمكن مناداتهم بسكان شمال إفريقيا. هنا أيضا نجد تضارب في المصطلحات وذلك يعود إلى بعض الصحفيين الذين شددوا على تسمية العرب بالجزائريين خاصة في العشرية الأخيرة للجزائر الفرنسية ومنذ ذلك الحين اكتسب العرب فقط هذه التسمية. لكن هذا لا يمنع أن بعض الفرنسيين، وبسبب الخيبة وسوء المعاملة التي تلقوها من قبل وطنهم الأم فرنسا،أن يطالبوا بشدة "إفريقيتهم".

ومن جانب آخر، فقد ولدت هجرة 1962 مصطلح جديد للدلالة على هؤلاء الذين انسحبوا إلى فرنسا وهذا المصطلح هو المعاد إلى وطنه" Rapatries " وهو نتاج الإدارة الفرنسية حيث أسست هذه الأخيرة سنة 1962وزارة تحمل هذا الاسم. كثيرا من فرنسيي الجزائر من رفضوا هذه التسمية الجديدة مبررين ذلك بأن وطنهم الأصلي هو الجزائر وليس فرنسا ويفضلون مصطلح المنفي أو المسحب أو المقلوع من جذوره بدل المرحل إلى وطنه.كثيرة هي المصطلحات التي تميز خاصية مؤثرة جدا لمغامرة رفض المستوطنون نسيانها، هذا ما دفع إلى تسمية الأوربيين المولودين بالجزائر بالمولدين البيض Creoles. لكن الاستعمال حصر هذا المصطلح فقط في مستعمرات الأنتيل. وعلى خلاف ذلك، فقد طبقت عليهم عبارة الأقدام السوداء les Pieds Noirs وقد انتشرت هذه التسمية بشكل واسع.[7] وهذا بدوره يقتضي منا طرح السؤال الآتي: ماهي المقاييس الممكن استعمالها في جعل هذا التعبير مناسبا؟

إنه من الصعب أن نحدد تعريفا دقيقا لمصطلح الأقدام السوداء دون الرجوع إلى أصل الكلمة ، ومصدر اشتقاقها، ومعرفة مدى استعمالها. يذكر المؤرخ "كسافيي ياكونو xavier yacono". "فعلا، إنه في السنوات التي تلت إحصاء 1954 حيث كنا نعرف إلا المسلمين وغير المسلمين وفي هذا الوسط انتشر مصطلح الأقدام السوداء ولم نقل أنه ظهر.[8] ويؤكد بأن أصحاب المصلحة من المستوطنين قد اندهشوا عندما علموا بأنهم الأقدام السوداء.

ومع ذلك وأبعد من مشكل الأصل ومعنى الصياغة هناك توضيح آخر يستحق الإبراز فيما يتعلق بالتكافؤ بين مصطلح فرنسيو الجزائر ومصطلح الأقدام السوداء والذي طالما أخلط بينهما عند الاستعمال. إنه يخص طابعها الموسع ويمكن أن يكون هنا الغرض الأساسي لهذا الشبه ترادف (الاشتراك في المعنى)الذي سيسمح بالخروج من هذا الالتباس على مستوى مدلول الكلمة وذلك عن طريق تحديد هوية صنف من السكان مقارنة بأصناف أخرى: إن كلمة الأقدام السوداء تعني كل المستوطنين الأوربيين وهي لا تعني الفرنسيين المسلمين وحسب المؤرخة جوال هورو **Joelle Hureau** فإن الأقدام السوداء في مضمونها الواسع تضم كل فرنسيي الجزائر الغير مسلمين[9].

وما نستخلصه من خلال هذا العرض والتحليل بمختلف التسميات والاختلافات في الآراء حول المعنى الحقيقي لمصطلح مستوطن أوربي هو أن بحثنا هذا يهتم بالمستوطنين الأوربيين المستغلين لثروات البلاد، المسيطرين على الحياة السياسية والاقتصادية والاجتماعية والمجحفين في حق السكان الأصليين. وسنستعمل في دراستنا هذه لفظ المستوطنين الأوربيين ونادرا ما نستعمل لفظ فرنسيو الجزائر أو أوربيو الجزائر أو الأقدام السوداء لسببين اثنين هما:

– لقد استقبلت سنة **1954** ميلاد الثورة الجزائرية وأغلبية المستوطنين من أصل أوربي وفقط **11%** من هم فرنسيي الأصل. وعموما فهم خليط من أعراق متناثرة جاءت من مختلف دول أوربا.

–السبب الثاني، وفي اعتقادي أنه الأهم، أنه مهما اختلفت تسميا تهم فالحقيقة والمعنى واحد. فالمستوطن هو ذلك المحتال، هو ذلك المستغل، هو ذلك المتمرد على أي تطور يكون لصالح المسلمين، هو ذلك الذي دفع ثمن سياسته المجحفة أن فقد الجزائر إلى الأبد.

3– سياسة فرنسا الاستيطانية:

لقد خطط الساسة الفرنسيون منذ **1830** بأن تكون الجزائر مستعمرة للإسكان. ومن اجل ذلك بذلت فرنسا جهودا كبيرة لتشجيع الأوربيين بصورة عامة والفرنسيين بصورة خاصة على أن يستوطنوا الجزائر بأكبر عدد ممكن. وللوصول إلى هذه الغاية عملت السلطات الفرنسية على أن تضيع على عملية اتخاذ الفرنسيين من الجزائر موطنا لهم طابع الرسالة الحضارية مما جعلها بالتالي، تشجيعا للهجرة إلى الجزائر وحثا للفرنسيين عليها على

منح المهاجرين مميزات اقتصادية وسياسية كبيرة لترسيخ الفكرة القائلة بأنهم يقومون في سلوكهم هذا بعمل وطني ويؤدون رسالة قومية.

لقد أدركت فرنسا أهمية تواجد المستوطنين في الجزائر، لدعم الاحتلال وراس المال الفرنسي. وفي هذا الصدد نذكر نداء الجنرال كلوز يل إلى الأوربيين الذين كانوا قد وصلوا إلى مدينة الجزائر بمناسب وصوله إليها يوم 9 أوت 1835:" يجب أن تعلموا أن هذه القوة (العسكرية) التي هي تحت إمرتي ما هي إلا وسيلة ثانوية، ذلك أنه لا يمكن أن نغرس العروق هنا إلا بواسطة الهجرة الأوربية فقط".[10]

وهناك أيضا حقيقة واقعة كبرى هي أن ممثلي السياسة الفرنسية قد تراءى لهم منذ عام 1830 أن احتلال الجزائر احتلالا عسكريا لا يؤمن سيطرة فرنسا عليها، فهي أراضي شاسعة الأرجاء متنوعة التضاريس ولكي يستقر احتلالها يجب أن تسير معه جنبا إلى جنب هجرة الفرنسيين ليستوطنوا فيها ويكونوا قوة تدعم الجيش، ومن جهة ثانية، قوة تمكن الجيش المحتل من حصر أصحاب البلاد الشرعيين في مناطق يسهل فيها الإشراف عليهم ومراقبتهم فتتم للمحتلين من العسكريين والمدنيين السيطرة عليهم اقتصاديا وسياسيا.

وانطلاقا من هذه الحقائق، فقد طبق من عام 1830 إلى 1940 الاستيطان الحر أو الأفضل أن نقول فوضوي. فعندما احتلت مدينة الجزائر انقض على البلاد رهط من البشر المتوحشين كسبوا عن طريق المتاجرة، بأبنية المدن، وحاولوا احتكار الأراضي، وقطع الغابات، واصبح ساحل الجزائر الغني بالممتلكات والبيوت الريفية التي هجرها أصحابها جزئيا ميدانا خاليا استقر فيه بالإضافة إلى الخماسين الذين كانوا يزرعون هذه الممتلكات، مشترون أوربيون مشكوك في حسن نيتهم، وأرستقراطيون رومانتيكيون"المستوطنون ذوي القفازات الصفراء". وكان المارشال كلوز يل، وهو الاستيطاني العنيف، هو القدوة في ذلك، فحصل بسعر رخيص على أملاك واسعة وحاول أن يجعل من متيجة "مستقرا للمتسولين القادمين من أوربا"، فقدمت من إسبانيا، وجزر الباليار، ومالطا، وإيطاليا قوارب تنقل سيلا من فقراء الصعاليك. زد على ذلك أنه دخل على البلاد رسميا عمال بارسيون ومهاجرون ألمان وسويسريون.[11] وزيادة على هذه الفوضى، فقد حدث مثلا في عام 1831 أن وجدت فرنسا جماعة من الألمان والسويسريين في ميناء الخافر الفرنسي في طريقهم إلى الولايات المتحدة الأمريكية، فرحلتهم بالقوة إلى الجزائر.[12]

لكن هذه الهجرة لم تأت أكلها، فقد ظل عدد المستوطنين المزارعين ضئيلا، حتى عهد بيجو. فعنده أن الدولة إذا أرادت قيام حكم ثابت في إقليم خارجي، لا يكفيها قهره عسكريا، بل لابد من نشر عنصرها في هذا الإقليم. وبما أن بيجو يعتبر صاحب منهج في نظم الاستعمار فقد ترك للحكومة أن تتولى بنفسها نقل المهاجرين، وتعبيد الطرق وإنشاء المساكن ومدهم بالحبوب والمواشي في السنوات الأولى، حتى يصبحوا قادرين على استغلال أراضيهم بأنفسهم.[13]

لكن التغيير الجذري في وضعية المستوطنين حدث في عام **1848**م حين وقعت الثورة، وشارك الأوربيون فيها بوفد، وطالبوا بإدماج الجزائر في فرنسا بصفة رسمية وإعطائهم **04** مقاعد في البرلمان الجديد. وبالفعل، لم تخيب الجمهورية الثانية آمال المستوطنين، فقد سمحت لهم أن يرسلوا أربعة ممثلين عنهم إلى الجمعية التأسيسية، وأن يرسلوا ثلاثة نواب إلى الجمعية الوطنية التشريعية. وأعلن دستورها الجزائر "جزء مكملا" للتراب الفرنسي، وقسم التراب المدني إلى ثلاثة عمالات بواسطة مرسوم **09** ديسمبر **1848**م الذي ألغى التراب المختلط فأصبحت العمالة، التي خلفت المقاطعة، مقسمة إلى تراب مدني وتراب عسكري، الأول تحت إدارة العمالة والثاني تحت قيادة ضباط عسكريين[14].

وقد تحصلوا على هذا المكسب السياسي بمقتضى الدستور الجديد الصادر بتاريخ: **04** نوفمبر **1848**م والذي نصت المادة **109** منه على اعتبار الجزائر أرض فرنسية[15]

إن الصراع السياسي على السلطة كان قائما بين المستوطنين الأوربيين والجيش منذ الاحتلال ولغاية **1870**، أي حتى بعد انهزام الجيش في معركة سيدان والقبض على نابليون الثالث من طرف الألمان، وآنذاك فقط نالت الكفة لصالح المستوطنين حيث جاءت حكومة الدفاع الوطني لتتخذ إجراءات خطيرة لصالح المستوطنين في الجزائر وتحقق جميع مطالبهم.

لقد تبين للمستوطنين الأوربيين أن حكومة الجمهورية الثالثة تتبع سياسة جديدة متفقة مع معظم مطالبهم. فكان أول ما اتخذته الحكومة الفرنسية من إجراءات بعد سقوط "نابليون الثالث" هو سحب السلطة من يد العسكريين والمكاتب العربية وتسليمها إلى المدنيين ، ثم تطبيق النظم السارية في فرنسا على الجزائر، وهو ما يعرف بسياسة الإدماج، لتمكين المستوطنين من التمتع بجميع النظم الديمقراطية السائدة في فرنسا، وذلك بتطبيق

جميع القوانين والحقوق السياسية التي يتمتع بها الفرنسيون في الميتروبول على المستوطنين في الجزائر، علاوة على امتيازاتهم الاقتصادية والاجتماعية التي استمدوها من سياسة الإقصاء والتشريد التي اتبعوها مع أهالي البلاد المسلمين. والحق أن سياسة الجمهورية الثالثة كانت رد فعل على سياسة الإمبراطورية الثانية التي أغضبت المستوطنين. أما السكان الأصليون فلم يكن لوجودهم أي اعتبار بل ربما فكر الفرنسيون فيما هو ابعد من سيطرة العنصر الفرنسي إداريا واجتماعيا وثقافيا، وهو تحقيق الأغلبية العددية لعنصرهم عن طريق سلب السكان الأصليين جميع موارد الثروة التي يعيشون عليها، واضطرارهم إما إلى الهجرة خارج الجزائر أو النزوح إلى الجنوب حيث قساوة الطبيعة وقلة موارد العيش[16].

وهكذا وبعد محاولات عديدة نجح المستوطنون كذلك في خلق حكومة لهم في أرض عربية. فبمقتضى قانون 19 ديسمبر 1900 لم تعد الجزائر امتدادا لفرنسا وإنما أصبحت عندها الشخصية المدنية والاستقلال الذاتي.

المستوطنون الأوربيون واتفاقيات إيفيان

لقد جسدت إتفاقيات إيفيان ما جاء في مواثيق الثورة الجزائرية في ما يخص المستوطنين الأوربيين .في يوم 18 مارس 1962 على الساعة الثامنة مساء،أعلن الجنرال ديغول نتائج اتفاقيات إيفيان، وفي الوقت ذاته كان رئيس الحكومة الجزائرية السيد بن يوسف بن خدة يعلن عن وقف القتال عبر موجات راديو تونس و الرباط وطانجة، وطرابلس و القاهرة.

وكانت مسألة الأقلية الأوربية من النقاط الصعبة التي واجهت الوفد الجزائري خلال المفاوضات وفي هذا الصدد يقول المجاهد "بن طوبال":".... حيث أن المفاوضين الفرنسيين اشترطوا قوانين خاصة بالجالية الفرنسية المتمركزة في المدن الرئيسية للجزائر التي بها أغلبية فرنسية وهي أربع مدن: عنابة، الجزائر، وهران، بلعباس .حيث تنص الاتفاقيات على أن يكون في هذه المتضمن الأحياء الفرنسية محافظ للشرطة وقاض فرنسيان،إذ كانوا متشبثين بهذه الشروط كثيرا لأنهم كانوا متخوفين من الجالية الفرنسية الموجودة في الجزائر والمتمثلة في منظمة الجيش السري والقوات الفرنسية في الجزائر.وهذا مشكل انساني ،إذ لم يكونوا على استعداد للتضحية بمليون من مواطنيهم الفرنسيين..."[17]

وأهم ما جاء في هذه الاتفاقيات فيما يخصهم هو كالآتي:

-النظم الخاصة بالمواطنين الفرنسيين الخاضعين للقانون المدني العام :

1-في إطار القانون الجزائري الخاص بالجنسية، ينظم الوضع القانوني للمواطنين الفرنسيين الخاضعين للقانون المدني العام طبقا للمبادئ التالية:

يستفيد المواطنون الفرنسيون الخاضعون للقانون المدني العام لمدة ثلاث سنوات من يوم تقري المصير، بالحقوق المدنية الجزائرية ويعتبرون من أجل هذا مواطنين فرنسيين يمارسون الحقوق المهنية الجزائرية،إذا انطبق عليهم ما يلي:

-الذين أقاموا عشر سنوات في القطر الجزائري إقامة دائمة ومنتظمة حتى يوم تقرير المصير، وكان الوالد أو الوالدة، المولودون في الجزائر،استوفوا أو يستطيعون أن يستوفوا الشروط الخاصة بممارسة الحقوق المدنية .

ولا يستطيع المواطنون الفرنسيون الذين يمارسون الحقوق المدنية الجزائرية أن يمارسوا في نفس الوقت الحقوق المدنية الفرنسية .وهم يكتسبون في نهاية المدة المقررة بثلاث سنوات الجنسية الجزائرية وذلك بتقديم طلب تسجيل أو طلب للتصديق على تسجيل في جداول الانتخاب ويكتفي بعقد العمل في حالة عدم تقديم هذا الطلب .

2- اتخاذ الخطوات التالية من أجل ضمان الحماية ،لمدة ثلاث سنوات للمواطنين الفرنسيين الذين يمارسون الحقوق المدنية الجزائرية وبعد نهاية هذه المدة بصفة دائمة للجزائريين الخاضعين للقانون المدني العام وذلك بالنسبة لأموالهم لاشتراكهم المنتظم في الحياة الجزائرية :

- لهؤلاء الحق في الاشتراك الرسمي في الشؤون العامة .
- يجب أن يتناسب تمثيلهم في المجالس مع أهمية مراكزهم الفعلية
- يشتركون في مختلف فروع الوظائف العامة اشتراكا عادلا .
- سيكون اشتراكهم في شؤون البلديات، في الجزائر ووهران تبعا لنظم خاصة.
- ستحترم حقوقهم في الملكية ولن يتخذ أي إجراء ضدهم بالنسبة لمصادرة أملاكهم، بدون منح تعويض عادل يحدد من قبل .
- سيسلمون الضمانات المناسبة للمثقفين واللغويين ورجال الدين .
- سيحتفظون بقانونهم الشخصي الذي ستحترمه وتطبقه محاكم جزائرية مكونة من قضاة يخضعون لنفس القانون .
- سيستخدمون اللغة الفرنسية في المجالس وفي علاقاتهم مع السلطات العامة.

– ستقوم محكمة للضمانات وهيئة للقانون الداخلي الجزائري بالعمل على احترام هذه القوانين .[18]

الخلاصة

إذا كانت العولمة الجديدة المستقبلية تهدف إلى تحقيق الدائري وتعميم الشيء فإن الإستيطان يهدف إلى تغيير الأصول العرقية والبيئية المستقبلية.

وعلى هذا الأساس فالفترة الممتدة من **1830** إلى **1962** كانت تمثل سلطة الأقلية الأوربية التي لا تمثل سوى عشر سكان الجزائر، حيث عمل هؤلاء بكل إرادة وحزم على منع الجزائريين المسلمين من الحصول على أي تمثيل سياسي.لقد اعتبرت فرنسا الجزائر منذ بداية الاستعمار مستعمرة للإسكان ولذلك فقد بذلت السلطات الفرنسية كل ما في وسعها منذ الاحتلال لتشجيع الاستيطان الأوربي في الجزائر، لكن لم تكن هذه السياسة ذات نظرة بعيدة إلى المستقبل، ذلك أن تلك السلطات رأت في الاستيطان عاملا فقط لتدعيم احتلالها وراس مالها.

لكن سرعان ما أصبح ذلك الاستيطان من القوة بحيث يستطيع متابعة السياسة الاستعمارية التي يعود إليها بقاء المستوطنين ودعم سياسة فرنسا. وكان من نتاج ذلك ظهور امتيازات اقتصادية كبيرة جدا رافقتها بسرعة جنبا إلى جنب امتيازات سياسة هامة جدا ومنحت هذه وتلك إلى المستوطنين الأوربيين.

وعليه يمكن القول، أن الإستيطان هو أسلوب من أساليب العولمة ، وهي سياسة قديمة جديدة لتوسيع دائرة الإقتصاد الحر كما أنه سياسة لإحكام السيطرة على العالم بإسم (الإستعمار الفرنسي في الجزائر الذي أراد أن تكون الجزائر فرنسية بغض النظر عن الشعب الأصلي)

إن الإستعمار مرحلة دائمة للرأسمالية ، وهي موجة توسع من أجل فتح أسواق التي رتبت عن إنجاز الثورة الصناعية . كما أنه ظاهرة معولمة قديمة جديدة والدليل على ذلك أنه:

بعد مقاومة الجزائريين لهذا الإستعمار توصلنا إلى نتيجة مفادها أن تحالفا حضاريا نتج عن هذا الإستيطان ، فالدولة الجزائرية الحديثة اعترفت سنة **1962** بحقوق المستوطنين الأوربيين ووضعت قوانين لدمجهم ومعاملتهم كمواطنين جزائريين .كذلك نصت

الإتفاقيات على أن اللغة الفرنسية ستستخدم في المجالس وفي علاقاتهم مع السلطات العامة . هذا إن دل على شيء فإنه يدل على التأثير الكبير الذي خلفه الإستيطان .

من حيث لا ندري، فقد نتج تحالف حضاري بين المستعمَر و المستعمِر فيما يخص الجانب الثقافي والإجتماعي والإقتصادي وحتى السياسي ودليلنا على ذلك أن الجزائر بعد 1962 ، طبقت النظم السارية المفعول في فرنسا على التربية والتعليم والإقتصاد والإدارة ... إلخ.

خلاصة القول أن هذه المتغيرات – الإستيطان، العولمة ،الإستغلال، المقاومة والثورة – تؤدي بالضرورة إلى خلق تحالف حضاري بين المجتمعات البشرية سواء كان سلبي أو لإيجابي.

وعلى هذا الأساس فإننا ندعو إلى التواصل الثقافي والتبادل التجاري المبني على العدالة الإقتصادية وإستغلال الأراضي الفلاحية بتقنيات حديثة وفتح مجالات مختلفة في جميع الميادين بين الشمال والجنوب. الشمال الذي يخطط للإستراتيجية الجديدة لما بعد العولمة وما بعد الحداثة والجنوب الذي يستفيد من خبرات ومنتوجات الشمال وتكنولوجياته المتطورة فالمطلوب من الجنوب أن يتحرر من الذهنيات القديمة ويسمح بالإستيطان الجديد لإستغلال ثرواته الطبيعية وذلك لتعميم الفائدة على الجميع.وهذا يدفعنا أيضا إلى ترقية مفهوم الحوار مع الآخر في ظل العولمة وما بعدها .

المطلوب من الجنوب كذلك أن يدعم فكرة الإستيطان من أجل إستغلال ثرواته الطبيعية ومن أجل القضاء على الفجوة الطبقية وعلى التبادل المجتمعي وخاصة منها اليد العاملة الماهرة والتوازن بين المنتج والمستهلك وخلق فرص العمل في دول الجنوب. والدعوة إلى ترقية مفهوم الحوار بين الثقافات من أجل التحالف بين الحضارات المختلفة والقضاء على الصراع الحضاري الذي بدأ يتراجع في بداية الألفية الثالثة .

الهوامش:

---

[1] : د . علي حرب، الثقافة والعولمة بيروت عدد 159 تشرين ثاني، نوفمبر،1998،ص 83.

[2] : حسن حنفي، صادق جلال العظم ، (دمشق : دار الفكر، 1998) ص،ص : 257-258

[3] P 6 Ibid. ; * عالم بالآداب واللغات الشرقية وأستاذ بجامعة فرنسا

[4] Stock, 1978, p.257.:. Paris Jacques Berques, Arabies

[*] -أستاذ بجامعة الجزائر ثم بجامعة تولوز.

[5] Xavier Yacono, Les Pieds – Noirs. Paris : Editions Lebaud.1982.p18

[6] Joelle Hureau,La Mémoire Des Pieds Noirs. Paris : Orban,1987 P 89

[7] Xavier Yacono, Op.Cit .,P 184

[8] E.Brua, «Nous Les Pieds Noirs ».Histoire Magazine, N°387, p19 Joelle Hureau , Op.Cit.,p18 [9]

[10] صالح عباد، الجزائر بين فرنسا والمستوطنين 1830-1930. ديوان المطبوعات الجامعية ص 11.

[11] شارل روبير آجيرون، تاريخ الجزائر المعاصرة. بيروت: منشورات عويدات ص 41-42.

[12] صلاح العقاد . التطور السياسة الفرنسية في الجزائر. القاهرة : مطبعة الرسالة، 1960 ص 16.

[13] نفس المرجع . ص17.

[14] - المرجع السابق. ص 33..

[15] بوحوش عمار. التاريخ السياسي للجزائر من البداية ولغاية 1962 .الطبعة الأولى. بيروت: دار الغرب الإسلامي، 1997.ص :126.

[16] صلاح العقاد، المرجع السابق، ص 29.

[17] عمار. قليل- ملحمة الجزائر الجديدة، ج3، الجزائر-قسنطينة.دار البعث 1991 ص:219.

[18] بن يوسف،بن خدة:إتفاقيات إيفيان، (ترجمة: لحسن زغدار). الجزائر: ديوان المطبوعات الجماعية، 1987. ص:90-91-92.